

ثم و«يوقد» المضارعة توحى باستمرارية الإيقاد، ولا استمرار لوقود الشمس ولا أي سراج! و«يكاد» موحية باستمرارية هذه الحالة المشرقة الذاتية، ولا ضوء لأي زيت فضلاً عن أن «يكاد» بالاستمرار، والممثل له هو زيت الزيتون، أهل بيت الرسالة المحمدية، بقلوبهم المنيرة بنور العصمة البشرية لحد استطلبت العصمة الإلهية القمة، فأولاها الزيت الذي يكاد يضيء، وثانيها نارها ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾!

وكما الممثل له هنا منقطع النظر، كذلك المثلال إلا في البعض من أمثاله «مشكاة - مصباح - زجاجة - زيت» ولكن أين مشكاة من مشكاة، ومصباح من مصابيح، وزجاجة من زجاج، وزيت من زيت؟ لذلك لا نجد لمثل نورهم مثلاً خُلق بجنبهم، اللهم إلا تصويراً لهذه بتحويل.

ومن التأويل لذلك المثل ما يروى عن أمير المؤمنين تطبيقاً له بأهل بيت الرسالة المحمدية عليه السلام (١) إنهم الأنوار الأربعة عشر، ثم خمسة، ثم واحد

(١) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال دخلت مسجد الكوفة ورأيت علياً عليه السلام يكتب بإصبعه متبسماً، قلت: ما يضحكك يا مولاي؟ قال: تعجباً ممن يتلو هذه الآية وهو يجهل الحقيقة التي تحويها، قلت: ما هي؟ قال عليه السلام: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ ف ﴿كَيْشْكُورُ﴾ محمد عليه السلام ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ أنا في زجاجة ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ﴾ الحسنان ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ علي بن الحسين عليه السلام ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ محمد بن علي عليه السلام ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ جعفر بن محمد عليه السلام ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ﴾ موسى بن جعفر عليه السلام ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ علي بن موسى عليه السلام ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ محمد بن علي عليه السلام ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ علي بن محمد عليه السلام ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ حسن بن علي عليه السلام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ القائم المهدي عليه السلام ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلَيْهِمْ﴾ [النور: ٣٥].

وفي مدينة المعاجز عنه عليه السلام أن ﴿نُورُ السَّمَوَاتِ﴾ ومحمد عليه السلام و ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَيْشْكُورُ﴾ فاطمة عليها السلام ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحسن عليه السلام ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ الحسين عليه السلام ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ علي بن الحسين عليه السلام ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ جعفر بن محمد عليه السلام ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ موسى بن جعفر عليه السلام ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ علي بن موسى عليه السلام ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ محمد بن علي عليه السلام ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ علي بن محمد عليه السلام ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ حسن بن علي العسكري =

هو محمد ﷺ، ولعل خماسية النور في الآية توحى للخمسة الطاهرة، فإنهم القاعدة الوسطى لهذه الأنوار، مهما انتهت في وسطها وأخراها إلى أولها «محمد» ﷺ ف «أولنا محمد - وآخرنا محمد - وأوسطنا محمد - وكلنا محمد ﷺ!!»!

ولكنما ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعني فقط نور التكوين والتشريع وهما لله! و﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ هم الهداة الذين يمثلون نور الهداية الإلهية في ولاية شرعية، و﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ هما وحي على قلب، ثم هدى تلوه هدى و﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ هو الهدى المتمثلة في رسول الهدى وأئمة الهدى، وسائر الهدى كونياً وشرعياً، دلالة وإيصلاً أمّاذا من درجات الهدى وجناباتها!

رسول الهدى وهو بكله نور يسأل ربه نوراً مما يدل على شاسعة النور وكما يروى عنه ﷺ قوله: «اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً...»<sup>(١)</sup> و«أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري»<sup>(٢)</sup>.

= ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥] حجة الله المهدي ﷺ .

أقول: رموز هذه التطبيقات إن صحت عن المعصوم لا يعرفها تماماً إلا المعصوم. وفي ملحقات إحقاق الحق ١٤: ٣٦٩ في كتاب مناقب أمير المؤمنين لابن المغازلي الشافعي بسند متصل عن علي بن جعفر قال سألت أبا الحسن ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿كَيْشَفُوكَ فِيهَا مِصْبَاحًا...﴾ قال ﷺ:

المشكاة فاطمة عليها السلام والمصباح الحسن، والزجاجة الحسين عليه السلام ﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال كانت فاطمة كوكباً درياً من نساء العالمين ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ الشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ «لا يهودية ولا نصرانية» ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ قال: يكاد العلم أن تنطق منها ولو لم تمسه العلم أن تنطق منها نار ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ منها إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ قال: يهدي الله ﷻ لولايتنا من يشاء.

(١) في دعوات ٩، م مسافرين ١٨١ - ١٨٧ - ١٨٩. د تطوع ٣٦ مت دعوات ٣٠ حم ١ - ٢٨٤ - ٣٤٣ - ٣٥٢ - ٣٧٣. (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي).

(٢) نور الثقلين ٣: ٦٠٥ ح ١٧٩ القمي عن جعفر بن محمد عليه السلام في الآية قال: بدأ بنور نفسه ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾: مثل هداة في قلب المؤمن ﴿كَيْشَفُوكَ فِيهَا مِصْبَاحًا﴾ والمشكاة جوف المؤمن =

ثم السماوات والأرض: الكون المخلوق كله - هو نورٌ من جهات شتى، حيث تدل دلالة صافية ضافية على مكوناتها ومدبرها، فإنها آياته مهما خفيت أو جلت: ﴿سَتْرِيهِمْ أَيْتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١)؟

ثم المادة بحذافيرها هي تراكيب من نور، فقد استطاع البشر بعد تحطيم الذرة أن يلمس إشعاعات منها منطلقة لا قوام لها إلا النور، ولا مادة لها إلا النور، فذرة المادة مؤلفة من كهارب واليكترونات تنطلق عند تحطيمها في هيئة إشعاع قوامه هو النور، إذاً فما هي حالة المادة إلا بسطاً من الذرة وإلى المادة الأتم، حيث التركيب فيها ثنائي كأبسط ما يمكن في المادة؟ إنها أم النور ونور النور، فمادة الكون ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ وكما الهداية الإلهية نور على نور وأين نور من نور؟

ويحق لنا القول: إن الكون كله بمادته ومعناه يفسر آية النور، فأصل الكون نور أخرج عن ظلمات العدم: إيجاد المادة الأولية لا من شيء، والمادة من البداية إلى النهاية نور تدليلاً على مكوناتها وتركباً من إشعاعات،

= والقنديل قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ﴾ قال: الشجرة المؤمن ﴿رَبُّونَهُ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ قال: على سواد الجبل لا غربية لا شرق لها ولا شرقية لا غرب لها إذا طلعت الشمس طلعت عليها وإذا غربت غربت عليها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد النور الذي جعله الله في قلبه يضيء وإن لم يتكلم ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ فريضة على فريضة وسنة على سنة ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يهدي الله لفرائضه وسننه من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٢٥] فهذا مثل ضربه الله للمؤمن ثم قال: فالمؤمن يتقلب في خمسة من النور مدخله نور ومخرجه نور وعلمه نور وكلامه نور ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور قلت إنهم يقولون مثل نور الرب؟ قال ﷺ سبحان الله ليس الله مثل قال الله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [التحل: ٧٤].

أقول: مواضع من هذا الحديث لا ينطبق على كتاب الله أو يخالفه مثل انكار المثل لله ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ...﴾ [الرؤم: ٢٧] إلا أن يعني مثل المثل!.

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

وتجهزاً بقوانين تربيها، واستعداداً تربوياً للهداة إلى الله، ووحياً إلى قلوبهم دلالة الطريق وهدى إلهية - وكلها إلهية - إيصالاً إلى المطلوب: مسبع النور في السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهن!

لنأخذ من المادة النور ما نعرفه ونألفه: قطرة من الماء نكبها تحت المكبرة إلى (١٥) سنتيمتراً، فتصبح كثيرة الارتجاف، ظاهرة عليها ألوان قوس قزح، ثم إلى (١٧٠ سم) لا نرى فيها إلا الماء، ثم إلى مائة ميل فحينئذ تظهر جواهر الماء الصغيرة، وكل جوهر منه صغير أصبح كالجوزة حجماً وقطره ٢/٥ سم، وهذا يعني أن جوهر الماء لا يمكن قسمته إلى قسمين كل منهما ماء، ولا تحليله إلا إلى العناصر التي تركيب منها، وهذا هو الجوهر المائي في حده الأدنى الذي لا يقبل القسمة إلى جزئين مائين، بل إلى عناصر أخرى ليست ماءً وهما الأوكسيجين والإيدروجين، وذلك الجوهر المائي المكبر لو أمسكناه وجدناه أشبه بالحجر صلابة لاتحاد الأوكسيجين بالإيدروجين اتحاداً قوياً لا يمكن انفصاله إلا بأعمال كيماوية.

هنا نجعل قطر القطرة - رابعة - مائة ألف ميل، فقطر كل جوهر مائي من النقطة المذكورة أكثر من أربعين قدماً بعد أن كان ٢/٥ سم، وهذا التكبير لا يفيدنا أمراً إلا أننا نرى كل جوهر مائي مؤلفاً من ثلاثة جواهر:

الأوكسيجين في الوسط والإيدروجين يمنة ويسرة، وهذه الثلاث لحد الآن جواهر فردة لم نستطع حتى الآن تقسيمها، أن تبقى بعد الانقسام كما هي، وإنما إلى أقسام أخرى علناً سوف نعلمها، وهي تشبه خلاً ومسافات لا مادة فيها، وجواهر الأوكسيجين الوسطاني كقنديل في المركز تحيط به دوائر ست تبعد عنه (٢٠) قدماً والجواهران من الهيدروجين حوله هما دائرتان من النور، قطر كل منهما سبعة أقدام، تدوران حول مركز من النور، ولكي نعرف كيان الجزئين نكبّر نقطة الماء هذه خامسة ألف مرة أخرى،

فتصبح أكبر من فلك الأرض حول الشمس، فيصبح قطر الجواهر المائي ثمانية أميال، وهنا نرى أن دوائر الأوكسيجين والإيدروجين ليست إلا خطوطاً وهمية من النور، ترسمها نقطة صغيرة من النور، تدور حول مركزها في الثانية الواحدة ستة آلاف مليون مليون دورة، وهذه النقطة الدائرة هي الكهربائية السالبة ومركزها النوري (الكهرباء الموجبة) وهذه الدوائر التي رسمتها النقطة في الذرتين ما هي إلا كالدوائر التي ترسمها شعلة نحركها نحن بسرعة فترسم دائرة بحسب ما ننظرها نحن، وليس في الواقع إلا شعلة .

وصلنا حتى الآن إلى نور الذرة، فماذا ترى نور أجزاء الذرة إلى المادة الفردة الأولى التي ما عرفناها حتى الآن ولن نعرفها بعد الآن، فإنما عرفنا أنها كلها أنوار ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ...﴾!

والجواهر المائية التي في نقطة واحدة من الماء (٥) أمامها (٢٠) صفراً أي خمسمائة ألف ألف ألف ألف ألف جواهر مائي، وهذا العدد العظيم من النقط المائية ليس مندمجاً كلاً ولا مصمتاً، فهناك أبعاد شاسعة بينها كالتي بين الكواكب والشمس والأرض بالنسبة لأحجامها . . .

إذن فقطرة الماء هي نُقْط من النور تدور بعضها حول بعض، وهكذا جميع العناصر في الكون - إذاً فالسماوات والأرض كلها ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾! (١) .

أجل وليست الذرات بأجزائها المعروفة حتى الآن إلا كهارب سلبية وإيجابية وخنثى، فالعالم كله كهارب وكله نور، مهما خفي عنا نوره إلا على ضوء نور العقل والعلم والوحي ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ...﴾!

(١) تلخيص مع تحوير عما حققه (هنشو) المكتوب عنه في مجلة (هاربر) الأمريكية ١٩٣٦ وكما نشرت في مجلات أخرى أيضاً.

نحن الآن في الشوط الثامن من التعرف إلى نور الكون، فمن المشاعل إلى مصابيح الزيت، إلى قناديل الشمع، إلى زيت البترول، إلى الغاز الذي هو خلاصة الفحم المحترق الجاري في الأنابيب لإنارة المدن، إلى خلاصة المادة الكحولية المسماة (اسبيرتو) أي بخارها الذي يغشى عادة بغشاء يحفظ ضوءه، إلى ضوء الكهرباء الذي عم أقطار الأرض، وإلى الإشعاعات الذرية وفوق البنفسجية أماذا ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ...﴾!

ثم إن النور المشكاة هي مثل المؤمنين بمراتبهم أعلاهم فيها الرسول محمد ﷺ وذووه ثم سائر الخمسة ثم سائر الرسل ثم سائر المؤمنين بمراتبهم وإليكم مثل الكافرين:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾:

بعد مثل النور لأهل النور هنا مثلاً لمن لم يجعل الله له من نور: برّي ﴿كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ...﴾ وبحري ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ...﴾ مشهداً رئيسيان من مشاهد الظلمات للذين كفروا.

في المشهد الأول يرسم أعمالهم في واقعها المضاد لما يزعمونها يوم القيامة ﴿كَسْرَابٍ﴾: مظهر ماء جار<sup>(١)</sup> ﴿بِقَيْعَةٍ﴾: أرض مكشوفة مستوية على ضوء الشمس، حيث يبصرها الرائي من بُعد كأنها تتلمع ماءً مائجاً صافياً هائجاً، يحسبه كل راء ماءً، ولا سيما الظمآن: شديد العطش الذي يفتش

(١) السراب ما يترأى للعين وقت الضحى الأكبر في الفلوات شبيه الماء الجاري يقال: سرب الماء يسرب سروباً إذا جرى فهو سارب كـ ﴿وَسَارِبٌ يَّالْتَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠] أي ماش فيه.

عن ماءٍ، فغير الظمان لا يجيئه إذ لا يحتاجه وقد لا يعرف خطاه، والعطشان غير الظمان قد لا يجيئه، ولكننا الظمان يجيئه حتماً متوقفاً ربه، فيفاجئ خلاف ما يتوقع، فالظم أن السائر وراء الشراب يتوقع هناك الشراب، يصله فلا يجد إلا السراب، مفاجأة مذهلة لم تخطر ببال، وقد تتقطع عندها الأوصال فتورث الخبال: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ وجده في تخيئه من بُعد! ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾: عند السراب الذي هو لا شيء، وعنده نفسه حيث لم يأت بشيء، صفر اليد عن كل شيء يصلح لحضور الرب ﴿فَوَفَّيْتُهُ حِسَابَهُ﴾ في حسابه بعمله الحابط ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ دون تباطوء في أصل الحساب، ليس «فوجد الله عنده» وجداناً له بإدراك حسي فما فوقه، إنما وجداناً لحضوره حيث لا يجدون موثلاً سواه، وقد كانوا غيباً عنه يوم الدنيا فهم في غفلة منه وغفوة يعملون ما يشاؤون كأن لا إله، ثم كشف عنهم غطاءهم يوم الأخرى فوجدوا الله عند أعمالهم بسرابها حاضراً حاذراً موفياً حسابهم سريعاً دون إمهال! .

فلأن أعمال الذين كفروا لا تهدف إلا شهوات الحياة الدنيا وزهواتها، وهم يزعمونها هادفة نافعة رغم أنها حابطة زائفة زاهقة، فهي إذاً كسراب بقيعة الدنيا، يحسبه ظمانها ماء الحياة رغم أنها بلاء الممات، وهو يعيش ذلك الحسبان البعيد البعيد ما دام غارقاً في تلكم اللذات وحياة الخيالات، فهو من الأخسرين ﴿أَعْمَلًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤٤﴾ ﴿١﴾ ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَهُ﴾ إذ جاءت سكرة الموت، فيرى من أعماله غير ما كان يراه إذ كانت على بصيرته غطاءً:

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ﴿٢﴾ ﴿لَمْ يَجِدْهُ﴾

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤. (٢) سورة ق، الآية: ٢٢.

شَيْئًا ﴿١﴾ في واقعه، رغم ما وجده أصل الحياة في حسبانته ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ﴾ :  
عنده نفسه وعند عمله الحابط الهابط، فلا يملك هنالك أحد شيئاً إلا الله :  
﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَجْدِ الْقَهَّارِ﴾ (١) ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ خلاف حسبانته ﴿وَاللَّهُ  
سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ رغم ما كان يحسبه ألا حساب لا بطيئاً ولا سريعاً!

فأعمال الذين كفروا حابطة ﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ﴾ (٢). وهي عليهم حسرة يوم يرونها كما هي: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ  
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ (٣) فإن ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ  
لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (٤).

ولأن الإنسان يوم القيامة ليس إلا أعماله، فإنها هو وهو هي، فالذين  
كفروا هم بأعمالهم كرماد اشتدت به الريح، وكسراب بقية هم حابطون كما  
أعمالهم ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ (٥).

والحبط ليس إلا في الأعمال الحسنة فإن السيئات باقية، فأية السراب  
تجعل حسناتهم كسراب بقية يوم القيامة، وآية الظلمات تجعل سيئاتهم ما  
تجعل، فحسناتهم حابطة كسراب وسيئاتهم ثابتة كظلمات!

إن الذين كفروا يسارعون بأعمالهم التي يحسبونها خيراً لهم إلى شرِّ لهم  
وهم غافلون بقصور التقصير، يقدمون أعمالهم التي هي عدوُّ لهم، بكل  
سرعة وحماسة، ثم يقدمون إليها فيرونها عليهم عذاباً ما لهم من محيد!

هذا المشهد الأول يبرز خيبتهم في اليوم الآخر، ثم المشهد الثاني  
يجعلهم في ظلمات متراكمة متراكبة، فإن كان المؤمن متقلباً في خمسة من  
النور مدخلاً ومخرجاً وعلماً وكلاماً ومصيراً، فالكافر يتقلب في خمسة من  
الظلم!

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(١) سورة غافر، الآية: ١٦.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٧.

(٥) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.



﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ أو هذه للتقسيم<sup>(١)</sup> انقساماً لحالتهم إلى قسمي الآخرة كالأول والدنيا كالثاني... ﴿كَظُلُمَاتٍ﴾ متراكمة متراكبة فلا شمس مضيئة، ولا قمر منيراً ولا أنجم زاهرة ولا سُرج، والليل غاسق، ظلمة مطلقة لا نور فيها، فهم أعمالهم كسراب أو كظلمات<sup>(٢)</sup>!

وكما آية النور مثلث بمسبغ النور تخلصاً عن الظلمات السبع، كذلك آية الظلمة هذه تمثيلة بمسبغ الظلمة، فـ ﴿كَظُلُمَاتٍ﴾ تعني غاسق الليل، بلا قمر، ولا نجوم، ثم ﴿فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ﴾ المتردد أمواجه ظلمة رابعة ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ خامسة ﴿مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ سادسة ﴿مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ سابعة ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ سبع ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ولا تتصور ظلمة فوقها فإنها لا نور فيها فـ ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهَا﴾ من هذه الأمواج أو فيها ﴿لَمْ يَكِدَّ يَرُهَا﴾ فإن فاصل النور أياً كان هو الذي يسمح للإبصار، فإذا لا نور فلا إبصار، حتى يده التي هي أقرب الأشياء إليه، ليس أنه - فقط - لا يراها بل ﴿لَمْ يَكِدَّ يَرُهَا﴾ فقد لا يراها إذ لا نور، ولكنه يكاد يراها لنور يأتي، ولكنما الكافر صد عن نفسه كل نور فليس ليرى حتى يده.

فالذين كفروا هم خارجون ومُخْرَجُونَ عن كافة الأنوار آفاقية وأنفسية، فلا يرون حتى أنفسهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾<sup>(٤)</sup> ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٥)</sup> ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

في آية الظلمات السبع ثلاثة أنواع من الظلمات: ظلمة البحر اللجي

(١) خير أبح قسم بأو وأبهم وأشكك وإضراب بها أيضاً نُمي.

(٢) أو هذه تعطف إلى سراب: أعمالهم كسراب أو كظلمات.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٥) سورة المطففين، الآيتان: ١٤، ١٥.

بأواجه، وظلمة السحاب، وظلمة غاسق الليل، كما للكافر ظلمات ثلاث في القول والعقيدة والعمل خلواً من كل نور، وحتى في حسناته إذ لا ترتبط بمعدن النور.

ولماذا «يده» دون رجله أماذا من جوارحه؟ لأنها أقرب ما يراه منها، فإذا لا يراها فهو مسدود عن كل رؤية، كفر غاسق وظلمة مطلقة منقطعة عن نور الهدى، وضلال لا يرى فيه الرائي أقرب معالم الهدى! أو لأن اليد تعبير عن أعماله الحسنة على كفره، فلا يكاد يراها يوم الأخرى لأنها حابطة غامرة!

آيات الله البيّنات كلها نور، وحتى آيات الظلمات إذ تبين موقف النور من الظلمات، ومن مواقف النور في آية الظلمات أنها قد تكون حرزاً من حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابة من صاحبها، أو ضالة أو آبق<sup>(١)</sup> أماذا من حاجيات لا سبيل إليها من أسباب ظاهرة!

﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ أترى إذا لم يجعل الله نور الهدى للذين كفروا فما ذنبهم إذ لا يهتدون؟ إن الله جعل لهم نور الفطرة والعقل كآيات نفسية، وجعل له نور الرسالة وسائر الآيات الآفاقية، ولكنهم زاغوا عنها ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> فلا يعني سلب الجعل السلب المطلق،

(١) نور الثقلين ٣: ٦١١ ح ١٩٧ عن الكافي في الأصبع بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق وأكرم أهل بيته ما من شيء يطلبونه من حرز من حرق... إلا وهو في القرآن فمن أراد ذلك فليسألني عنه قال: فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الآبق، فقال: اقرأ ﴿أَوْ كَظُلْمَتٍ...﴾ - إلى قوله - ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠] فقرأ الرجل فرجع إليه الآبق، وفيه في من لا يحضره الفقيه عن عبد الله بن يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اكتب للآبق في ورقة أو في طاس «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يد فلان مغلولة إلى عنقه إذا أخرجها لم يكذب يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» ثم لفها واجعلها بين عودين ثم القها في كوة بيت مظلم في الموضع الذي كان يأوي فيه.

(٢) سورة الصف، الآية: ٥.